

التكافل الإسلامي وأثره

على المهجرين اليوم

م. منى سلطان عطوان الكيلاني

كلية الإمام الأعظم / الجامعة

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعلمنا سبل الوصول إلى مرضاته، ودعانا لجنة عرضها السموات والأرض وبعث فينا محمداً نبياً كريماً بلغ الأمانة ونصح الأمة فجازه الله خيراً، أما بعد:

إن من أهم القيم التي يقوم عليها الإسلام هي التعاضد والتضامن والتكافل والتعاون والإيثار والكرم فقد عمل الشارع الحكيم على ترسيخ القيم في النفوس وشجع عليها، لأن المجتمع لا هذه القيم كالقشة في مهب الريح تتأثر بأي تيار يمر عليها، وتنهار بأي قوة تصطدم بها، فقد وضع الإسلام قاعدة متينة ليبني عليها المسلمون بنيانهم وهذه القاعدة هي التكافل بكل وسائله وسبله من زكاة وأوقاف وصدقات وإطعام طعام وإغاثة اللهفان وقضاء حاجات المنكوبين.

فالجماعة قوية بأفرادها والأفراد أقوىاء بجماعتهم والذئب لا يأكل إلا الشاة القاصة، وأول عمل قام به النبي (ﷺ) عند وصوله إلى المدينة قام بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لتتعلم الأمة واجيالها أن القوة في التكافل والتلاحم، أما الإنعزالية والفردية لا تأت إلا بالخراب والإنهيار وسد الأمة المنيع الذي يحميها من الطوفان والأمواج العاتية هو التكافل ولكن هناك أسباب اليوم منعت الأمة من التكافل فحب الدنيا وحب المال وانقسام الأمة إلى دويلات سياسية لا يجمعها رابط متين وعدم الاستفادة من وسائل التكافل الإسلامي كل ذلك منع الأمة التعاون والتضامن .

أهمية البحث وأسباب إختياره:

إن ما تمر به الأمة اليوم من أزمات ونكبات وحروب وما لحقها من نزوح وتهجير أعداد كبيرة من الأفراد والجماعات من ديارهم وما أصابهم من جوع وتشرد وعري ومرض دون أن تحرك الأمة ساكناً اللهم إلا من مساعدات هشة لا تسمن ولا تغن من جوع فأمام هذه الويلات كان لازماً أن يطرح موضوع التكافل والتعاون وسبله ووسائله ليعالج ويذكر أصحاب العقول بهذه الأزمات وأن الخلل في الأفراد والمجتمع لا في الشريعة التي وضعت الحلول المسبقة لمثل هذه الحالات .

منهج البحث:

تعد خطوات في هذا البحث خطوات متدرجة ووفقت بين موادها ما أمكن، فحررت فصول ومباحث هذا البحث بمنهج متنوع بين الإستقرائي والتحليلي والمنهج الوصفي.

وحرصت على تخريج الآيات وعلى تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها المعهودة والموثوقة، وحاولت جهدي ألا أخوض في التفاصيل الفقهية الواسعة، إنما أعطيت نبذة عن كل موضوع فقهي دون إسهاب وعرضت نموذج تطبيقي للتكافل من كتب السيرة النبوية وهي المؤاخذة، كما جعلت فهرست المصادر والمراجع على ترتيب الحروف الأبجدية .

المطلب الأول: تعريف التكافل لغة واصطلاحاً

تعريف التكافل لغة:

ورد في المختار الصحاح ما الكافل الذي يكفل إنساناً يعوله^(١) ومنه قَوْلُ تعالى: ((وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا)) [سورة آل عمران: ٣٧].

وورد في معجم مقاييس اللغة: الكفيل وهو الضامن والكافل: الذي يكفل إنساناً يعوله^(٢).

وفي المصباح المنير: كفلت الرجل والصغير من باب قتل كفالة غلته وقُمت به.

والكافل: هو الذي يعول إنساناً ويُنفق عليه^(٣).

مفهوم التكافل اصطلاحاً:

عند التعرض لمفهوم التكافل الاصطلاحي لا بد لنا من التأكيد على المصطلحات الأخرى الكثيرة التي تكون في معنى التعاون الحقيقي من معاني التضامن والتكافل والتناصر والتراحم والتناصر التي لا تخرج عن معنى التكافل في البر والتقوى .

ورغم أن مفهوم التكافل الاصطلاحي مفهوم واسع يشمل جميع جوانب البر والخير والإحسان ولكن يمكن تعريفه: ((تعاون أفراد المجتمع في المحافظة على المصالح العامة والخاصة ودفع المفساد بحيث يشعر كل فرد أنه إلى جانب الحقوق التي له أن عليه واجبات للآخرين وخاصة الذين ليس بأستطاعتهم أن يحققوا حاجاتهم الخاصة وذلك بإيصال المنافع: لهم ودفع الأضرار عنهم)) وإعطاء أولوية حق الجماعة على حق الأفراد^(٤).

(١) مختار الصحاح: الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان - بيروت - بلا ط، ١٩٨٧ (مادة كفل)، ص ٢٣٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي، طبع اتحاد الكتاب العرب (بلا.ت) مادة كفل .

(٣) المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، دار الحديث، القاهرة - الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) مادة كفل، ص ٣١٩.

(٤) أثر النزعة الجماعية في الفقه الاسلامي، نواره درس - الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) دار ابن حزم، بيروت، ص ٤٦.

المطلب الثاني: تعريف الهجرة لغة واصطلاحاً

تعريف الهجرة لغة:

ورد في المختار الصحاح: (المُهَاجِرَةُ) من أرض إلى أرض ترك الأولى للثانية .
وتَهَجَّرَ فلان تشبُّهً بالمهاجرين^(١).

وقال ابن منظور: والهجرة والهجرة - الخروج من أرض إلى أرض وكل محل بمسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناءه، فقد هاجر قومه، وسمى المهاجرين: مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشؤوا بها لله^(٢).

وقال الفيروز آبادي: الهجرة - هي الخروج من أرض إلى أخرى وهي تطلق على الوافد من البلاد والنازح منها على السواء في اللغة^(٣).

وورد في المصباح المنير: الهجرة بالكسر: مفارقة بلد إلى غيره^(٤).

تعريف التهجير اصطلاحاً

عرف الجرجاني - الهجرة: هي ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال إلى دار الإسلام^(٥).
وقد عرفت في كتاب معجم ألفاظ القرآن الكريم بأنها: هي انتقال المؤمن من بلد الفتنة والخوف على دينه إلى حيث يأمن على دينه^(٦).

ولعل هذا التعريف دقيق وذلك لأن تخصيص الهجرة بأن تكون من دار الكفر إلى دار الإسلام ليس بصحيح، ذلك لأن الأساس التاريخي الشرعي الذي بنى عليه تعريف الهجرة كانت أعم من ذلك، فهجرة الأصحاب إلى الحبشة لم يكن إلى دار الإسلام بل كان من دار الكفر والاضطهاد إلى دار الكفر والأمان على الدين والنفس، وأيضاً التعريف الأخير أوفق من التعريف اللغوي، للهجرة، ويؤيد هذا الإطلاق قوله تعالى ((إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا)) [النساء: ٩٧].

(١) المختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، مادة هجر، ص ٢٨٨.

(٢) لسان العرب: ابن منظور، مادة هجر، ج ١٥، ص ٣٢.

(٣) القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مادة هجر، ص ١٦٥٧.

(٤) المصباح المنير: أحمد بن محمد الفيومي، مادة هجر، ص ٣٧٦.

(٥) التعريفات: السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني، وضع حواشيه وفهرسه: محمد باسل عيون السود - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - الطبعة الثانية (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) ص ٢٥١.

(٦) المعجم: مجمع اللغة العربية - الهيئة المصرية العامة للتأليف، الطبعة الثانية، سنة (١٩٧٠م)، ج ٢، ص ٧٨٤.

فالأية لم تعين المهاجر إليه والمهاجر منه بل علل الأمر بالهجرة بالإستضعاف والخوف من الفتنة والحكم يدور مع علته وجودا وعلما.

لكن لابد أن يقال أن الهجرة أعم من ذلك كله، وذلك في بعض الأحيان لا تكون لأجل الحفاظ على الدين بل ربما يهاجر المسلم لأجل الأمن على النفس من أن يقتل أو أن ينتهك عرضه أو لأجل الحصول على المال .

فالراجح أن يقال في تعريف الهجرة: هي ترك الأوطان والبلد الذي يعيش فيه المسلم إلى بلد آخر - سواء كان دار اسلام أم دار كفر - اضطراراً أو لحاجة ملحة ويقرر العيش هناك ويكون في أغلب الأحيان بسبب الحفاظ على الدين والأفكار والعقائد والأمن عليها .

وعليه فأسباب الهجرة كثيرة قد يكون من أجل الفرار بالدين والعقيدة والأفكار، وقد يكون من أجل طلب الرزق، أو خوفاً من الظلم والأضطهاد والقتل، والهجرة قد تكون طلباً للعلم .

ومن أكثر الأسباب الشائعة للهجرة الفرار بالدين والعقيدة فلو نظرنا إلى الماضي نرى أن الأنبياء عليهم السلام الحاملين للرسالة الإلهية قد اضطروا إلى هجرة بلدانهم فراراً بعقيدتهم، وقد خرجوا وأخرجوا من أوطانهم، فهذا إبراهيم يقول له والده ((قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُ نَبِيًّا فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لَنْ أَتَّبِعَكَ إِنَّ أَوْلَىٰ لَكَ بِأَبْنَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ وَإِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)) [مريم: ١٣]. وقال تعالى: ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا)) [إبراهيم: ١٣].

وفي هذا العصر، كثيراً ما يفر الفرد من بلده وموطنه، خشية أن يلزمه ويعاقبه على ما يعتقد من أفكار وحلول.

والهجرة طلباً للرزق من أهم أسباب الهجرة قديماً وحديثاً للحصول على لقمة العيش، وفي هذا العصر نرى الخروج من الأوطان طلباً للرزق، وكسب المعاش خاصة من قارتي آسيا وأفريقيا إلى أوروبا، والدول اليوم شكلت هيئات ووزارات خاصة بالمهجرين لتنظيم دخولهم ومعاشهم، وأصبحت اليوم تجارة خاصة لظاهرة الهجرة، حيث يتم إيصال أعداد كبيرة بطريقة غير قانونية تنطوي على أخطار كبيرة إلى البلدان التي تسودها الرقابة والكسب.

ومن أخطر ما يُفرزه النوع من الهجرة هجرة أصحاب العقول والمفكرين وتفرغ البلد من علمائها وكوادرها العلمية العاملة، وهذا ما حصل في العراق ما بين سنوات (١٩٩٠-٢٠٠٣م) حيث الحصار الإقتصادي المقيت الذي استنفذ الطاقات العلمية وبعد سقوط النظام البعثي، أتى على هذا الشعب ما هو شر من ذلك وهو الاحتقان الطائفي، والاحتلال البغيض فكان طلب العيش في هذا البلد كمن يطلب الماء البارد وسط النار.

أما الهجرة خوفاً من الظلم والقتل، فإذا رفع الأمن وساء الخوف ولم يأمن الإنسان على نفسه وأسرته، فلا تبقى لذة الحياة ولا رغبة في العيش، فالفوضى والفتن والقلق وظهور الفرق المارقة

الملحدة الضالة من الزنادقة المدعية للإسلام والإسلام منها براء والتي تفرض على الناس أفكار ومعتقدات ما أنزل الله بها من سلطان، ومن أمثال هذه الفرق اليوم القاعدة والدولة الإسلامية في الشام والعراق وغيرها من الفرق التي لا يعرف أصلها ولا طبيعتها، لأن مصير كل من يعارض هذه الفرق القتل والسجن فهاجرت الناس من أوطانها مجبرة على ترك ديارها وأموالها.

قال ابن العربي في أحكام القرآن في ذكره لأسباب الهجرة: (الفرار من الإذاية في البدن، وذلك فضل من الله عز وجل أرخص فيه فإذا خشى المرء على نفسه في موضع، فقد إذن الله سبحانه وتعالى له الخروج عنه والفرار، وما كان من موسى والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك قال تعالى: ((فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)) [القصاص: ٢١].

كذلك يلحق به الإذاية في المال، فإن حرمة المال كحرمة الدم، وهجرة الأصحاب إلى الحبشة هو الفرار من ظلم القريشيين وتعذيبهم^(١).

أما الهجرة في طلب العلم فقد كان العلماء القدامة يعبرون القارات والبلدان مشياً على الأقدام طلباً للعلوم، قل منهم من يجد مركباً يسافر به وقد أنشد الإمام الشافعي:

تغرب عن الأوطان في طلب العلم وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرّج همّ واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة حامد^(٢).

المبحث الثاني: وسائل الإسلام في تحقيق التكافل

تنوعت وسائل الإسلام وتعددت في مجال التكافل، بين الواجب الملزم والمنوب والمستحب وقد توزعت في المجالات المختلفة من أصناف الأبواب الفقهية، فالتكافل أعتمد على مبدأ عام في الشريعة وهو التعاون قال تعالى: ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْغُدُوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) [المائدة: ٢]، فهذه الآية من أصول الآيات في وجوب التضامن، وفيها تحذير للمسلمين من التعاون على الإثم والعدوان لما في ذلك من الفساد الكبير .

من وسائل الإسلام في التكافل الزكاة فهو تعاون اجتماعي يجعل للفقير والمحتاج حقاً معلوماً في أموال الغني تقوم الدولة على جبايته قال تعالى: ((وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)) [الذريات: ١٩].

فالزكاة سر بقاء المجتمع الإسلامي مئات السنين وفيها تنصهر روح الانعزالية والفردية وتخفف من ويلات والمحن التي تعصف بالمجتمع .

(١) أحكام القرآن: أبو بكر بن محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي علق عليه أ.د. محمد بكر إسماعيل - دار المنار - القاهرة - الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ج١، ص ٥٧١.

(٢) ديوان الإمام الشافعي: محمد بن إدريس الشافعي - علق عليه محمد عفيف، دار العلوم الحديثة - بيروت - الطبعة الرابعة، ص ٢٦-٢٧، وص ٤١.

والزكاة من أركان الإسلام ولقد ذكرت بالقرآن مقترنة بالصلاة، قال تعالى: ((وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)) [النور: ٥٦]، وهذا الاقتران إنما يدل على قوة الصلة بينهما، فالصلاة عمود الدين والزكاة الركن المالي والاجتماعي لهذا الدين^(١).

والزكاة نوع من المواساة والتضامن مع المنكوبين ومن أصابهم البلاء والشفاء في بلدانهم ومناطقهم وما أشد حاجتنا اليوم لهذه الفريضة لمساعدة المحتاجين من النازحين والمهجرين من مناطقهم .

ورغم عدم وجود هيئات أو مؤسسات تقوم بجمع الزكاة فقد أستمريت الدولة الإسلامية تقوم بجمع الزكاة وانفاقها على مستحقيها حتى العصر العثماني، ثم تحولت الدولة الإسلامية الواحدة الى وحدات سياسة مستقلة لا تعاون بينهما، ولكن يمكن إنباء مديريات الأوقاف لإيجاد هيئة مختصة بجمع الزكوات تابعة لها.

١. الزكاة سبباً قوياً في التأليف والتضامن ضمن أصناف الزكاة الثمانية، فهذه الشرائح تمثل قطاعاً كبير في المجتمع وتقضى له مصالح مالية ومعنوية كبيرة .

٢. الزكاة تحافظ على اقتصاد الدولة وتوفر ضمان اجتماعي للمحتاجين دائم وتعتبر صمام أمان وقت الإضطرابات الاقتصادية والمالية.

٣. الزكاة لها دور كبير في عملية المسح الاجتماعي وهو من الطرق التي تستعمل بجمع البيانات والمعلومات ضمن الطوائف الثمانية المحددة للزكاة.

وهناك مقاصد كثيرة للزكاة لا يسع هذا البحث شمولها، والأدلة متعددة من القرآن والسنة والإجماع تؤكد لنا درجة الإلزام التي تتمتع بهم الزكاة فهي إحدى الدعائم التي قام عليها الإسلام .

قال تعالى: ((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ () الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ () وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ () وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ)) [المؤمنون: ١-٤] والآيات القرآنية في هذا المقام كثيرة ومتعددة أما في السنة الشريفة عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَانَ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، أَقَامَ الصَّلَاةَ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَالْحَجَّ وَصُومَ رَمَضَانَ"^(٢) والأدلة كثيرة مستفيضة في كتب الفقه وكذلك ما يتعلق، بنصاب الزكاة بين المزروعة والمنقولة والجامدة لها تفصيلات متنوعة في كتب الفقه المتخصصة وهذا يدل على أهمية ومدى الدور الكبير للزكاة في المجتمع الإسلامي الذي ينعكس أثره على وحدة وتماسك المجتمع أمام الأحداث وتداعياتها التي غالباً ما تستهدف الأمة ووحدتها، ومقاصد الزكاة عظيمة وهي كثيرة:

(١) ملامح المجتمع المسلم: يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ (١٤١٧هـ-١٩٩٦م)؟، ص ٦١.

(٢) أخرجه البخاري: رقم ٨، ١٢/١ واللفظ له ومسلم: رقم ١٤، ٤٤/١.

١. الإهتمام بمساعدة الآخرين ونزع خصلة الشح من نفوسهم فالزكاة تعويد للفرد على المساهمة في أداء واجبه الاجتماعي والعطاء عند الحاجة، وهي مشاركة الآخرين للتغلب على مشاكلهم ومن وسائل افسلام في التكافل الصدقة وتتدب صدقة التطوع في كل وقت، وفي رمضان وفي الأوقات المباركة أيام العشرة من ذي الحجة وغيرها.

وما أصاب المسلمين اليوم من ويلات التهجير والترحيل وما لحق بها من جوع وعري والسكن في العراء دون ملاذ أمن وأمراض وعاهات جسدية جراء الانفجارات جعلت الصدقة واجبة بحقهم، واصبحت معانى ومقاصد الصدقة فيهم تتحقق بكل أبعادها وثمراتها.

٢. قال الله سبحانه وتعالى: ((وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ)) [المنافقون: ١٠].

٢. ويكفى فضلاً للصدقة أن تطفئ غضب الرب وتقي ميتة السوء لما روى عن رسول الله (ﷺ): " صدقة السر تطفئ غضب الرب ثلة الرحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء" (١).

٣. كما أن الصدقة دواء للمرض لقوله (ﷺ): "داووا مرضاكم بالصدقة" (٢).

٤. من الذين يظلمهم الله يوم القيامة، أصحاب الصدقات روى عن رسول (ﷺ): ((ظل المؤمن يوم القيامة صدقته)) (٣).

ومن وسائل الإسلام في التكافل الوقف:

إن الوقف الذي هو تحبيس الأصل وتسبيل المنافع من أعظم ما يدخل في الإحسان واعمها واكثرها فائدة (٤)، وهو من التبرعات التي لم يعرفها أهل الجاهلية، بل استنبطه الرسول (ﷺ) لمصالح لا توجد في سائر الصدقات (٥)، والأوقاف نظام انفرد به التشريع الإسلامي، اختص به المسلمون (٦).

(١) شعب الإيمان: رقم ٣٣٤٣، ٢٤٥/٣.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير: رقم ١٠١٩٦، ١٠/١٢٨.

(٣) أخرجه ابن خزيمة: رقم ٢٤٣٢، ٩٥/٤.

(٤) إرشاد أولى الأبصار: عبد المقصود السعدي - مكتبة أضواء، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ص ٢٢٩.

(٥) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: شمس الدين الأنصاري - دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)،

٢٥٩/٥.

(٦) الأساس في السنة: سعيد حوس ٢٤٦٩/٥.

مشروعية الوقف:

لم يثبت أصل مشروعية الوقف بدليل خاص في القرآن بل ثبت بالسنة القولية والفعلية، وبالإجماع العملي من قبل الصحابة، بأعتباره من أفضل العرب المندوب إليها والأدلة مستقيضة في ذلك:

١. عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" ((١)).
 ٢. إن أبا طلحة لما سمع قوله تعالى: ((لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)) [آل عمران: ٩٢]، رغب في وقف ببرحاء وهي أحب أمواله، وهي حديقة مشهورة وهي اسم مال وموضع بالمدينة ((٢)).
 ٣. وعن ابن عمر (رضي الله عنه) أن عمر بن الخطاب، قال: ((إني أصبت أرضاً بخير لم أصب مالا قط هو أنفس عندي منه فما تأمرني به؟ قال رسول الله (ﷺ): "إن شئت حبست أصلها وتصدق بها" قال: فتصدق بها غمر (رضي الله عنه) أن لا يباع أصلها ولا يورث ولا يوهب، فتصدق بها في الفقراء وفي العرب)) ((٣)).
 ٤. وحديث عمرو بن الحارث قال: "ما ترك النبي (ﷺ) إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا تركها صدقة" ((٤)).
 ٥. وعن عثمان أن النبي (ﷺ) قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال: "من يشتري بئر رومة فيجعل فيها دلو مع دلاء المسلمين بخير له في الجنة، فأشتريتها من صلب مالي" ((٥)).
- والوقف أنواع كثيرة منها الأهلي أو الذرى والوقف الخيري والوقف المشترك وهو الموقوف على نوعين من الجهات أهلية وجهات خيرية .
- ونظام الأوقاف في الإسلام، هو النظام المكمل لنظام الزكوات والصدقات، وبه يتكامل نظام تكافلي يسع احتياجات الأمة، فإذا ما أضيف إلى هذه الأنظمة ما شرع في الإسلام من أحكام تضبط طرق التملك، وتوزيع الثروة، ليطير بهذا نظاماً اقتصادياً فريداً يتميز به الإسلام عن

(١) أخرجه مسلم: رقم ١٦٣١، ١٢٥٥/٣.

(٢) صحيح البخاري: كتاب التقجير، رقم الحديث ٤٥٥٤.

(٣) صحيح البخاري: رقم الحديث ٢٧٣٣-٢٧٧٢-٢٧٧٣.

(٤) صحيح البخاري: رقم الحديث ٢٧٣٩-٢٨٧٣.

(٥) أخرجه الترمذي: رقم ٣٧٠٣ - ٦٢٧/٥.

غيره^(١).

وأصبح للأوقاف وزارات ومديريات تنظم شؤونه وتؤكد شخصيته الحكومية المستقلة ولو تم تفعيل هذه المديريات والوزارات سجلت الكثير من الأزمات التي تواجه المسلمين اليوم ومنها مشكلة المهجرين النازحين من ديارهم منها حفر الأبار لهم وتوفير المساكن المناسبة والغذاء وغيرها من المساعدات الإنسانية التي يمكن توفيرها من الصدقات الموقوفة للبر والإحسان.

من وسائل الإسلام في التكافل إطعام الطعام:

إن إطعام الطعام من أكبر القربات إلى الله حث عليها الإسلام لما فيها من إنقاذ الأرواح من التهلكة وهي وسيلة فعالة أمام الأزمات التي تتعرض لها الأمة خاصة أمام موجات نزوح وهجرة الناس من ديارهم التي اجتاحتها أعاصير الفوضى والفتن والحروب وتركهم بلا مال ولا زاد فإطعامهم وسد جوعتهم هو من أكبر القربات إلى الله سبحانه وتعالى والأدلة على اطعام الطعام كثيرة ومستفيضة عن القرآن والسنة وهي علاج متجدد لكل الأزمات والمصاعب التي تواجه الأمة لتحفظ وجودها وتماسكها ووحدتها ومنها:-

قال تعالى في وصف الأعمال التي أدخلت المؤمنين الجنة ((وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا () إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا)) [الإنسان: ٨-٩].
وقال تعالى فيمن دخل النار ((مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ () قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ () وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ)) [المدثر: ٤٤].

أما في السنة الشريفة فالأحاديث كثيرة نورد منها:

فسأل رجلاً النبي (ﷺ) أي الإسلام خير فقال: ((تُطْعَمُ الطَّعَامَ وتقرأ السلام على من عرفت، ومن لم تعرف))^(٢).

قال النبي (ﷺ): ((طعام الأثنين كافر ثلاثة وطعام الثلاثة كافر الأربعة))^(٣).

قال الرسول الكريم (ﷺ): ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه))^(٤).

إن إطعام الطعام نوع من التكافل الإسلامي وله بُعد وأثار كبيرة على الفرد والمجتمع في مواجهة الشدائد والمجاعات ينفرد بها الإسلام عن باقي أنظمة العالم .

(١) الأساس في السنة، سعيد حوى، ص ٢٤٦٩. وينظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام: مصطفى السباعي،

دار ابن حزم للطباعة والنشر - بيروت، لبنان (١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الايمان، رقم الحديث ١٢.

(٣) صحيح البخاري: رقم ٥٣٩٢، ومسلم رقم ٢٠٥٨.

(٤) صحيح البخاري: رقم ٦٠١٩ - ٦١٣٥ - ٦٤٧٦.

وعبادة إطعام الطعام ينشأ عنها التودد والتحبب إلى الإخوان الذين أطعمتهم واحتساب الأجر في معונاتهم وحب الذات التي تسبب تفكك المجتمع وتصدعه. وهناك وسائل كثيرة للتكافل في الإسلام نكتفي بهذا القدر.

المبحث الثالث: نموذج من السيرة النبوية في التكافل

أول مبدأ جمع بين المسلمين، هو مبدأ التعاون بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، حيث ألقى الرسول (ﷺ) في دار أنس بن مالك الأنصاري بين تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار على المؤاساة والتوارث بعد الموت دون ذوى الأرحام إلا غزوة بدر^(١). حين نزل قوله تعالى: ((وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ)) [الأحزاب: ٦].

حيث رد الشارع الحكيم التوارث إلى الرحم دون عقد الإخوة^(٢) ووجه الاستدلال ظاهر هنا: في أن المؤاخاة التي جاءت في أول الهجرة بين الأنصار والمهاجرين كان المقصود بها التعاون بين المسلمين في ذلك الوقت على مطالب العيش بالتعاقد والمؤازرة والمشاركة والمؤاساة والتكافل بين المسلمين تجاه كل التحديات لهذه الأمة.

قال تعالى: ((لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُّونَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ () وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) [الحشر: ٨-٩].

ساهم نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في ربط الأمة بعضها ببعض، وذوبان العصبية الجاهلية فلا حمية إلا للإسلام، وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بمرؤته وتقواه.

لقد وضع النبي (ﷺ) نظام المؤاخاة لتتعلم الأجيال المسلمة أنه مهما كانت الأزمان والمصاعب والشدائد فالوحدة والتكافل والمؤاخاة هو الطريق الوحيد الذي يجلب العون والنصر بعد الله ويفتت صخور الشدائد أمام إلتحام وتجمع الأمة، وقد كان لهذه المؤاخاة ملامح تكشف عن مدى المؤاساة والتعاون والتضامن لهذه الظاهرة الغريدة في التاريخ.

١. عرض الأنصار قسمة أموالهم وأرضهم على المهاجرين، ففي الحديث عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: (قالت الأنصار للنبي (ﷺ) أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: (لا) فقالوا: تكفوننا المئونة ونشرككم في الثمرة قالوا: سمعنا وأطعنا)^(٣).

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد: ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ١١٨-١٢١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) صحيح البخاري: كتاب المزارعة، رقم الحديث ٣٢٥، ص ٣٧٢.

فهذا الحديث يفيد أن الأنصار عرضوا على النبي (ﷺ) قسمة أموالهم وهي النخيل، فأبى عليهم النبي (ﷺ) لما فيه إحجاف بزوال ملكية ملكية أموالهم عنهم، ورضى أن يعمل المهاجرين في الأرض مقابل الثمرة .

نلاحظ مدى مؤاسة الأنصار للمهاجرين في تخفيف مصابهم في أموالهم التي فقدوها.

٢. ومن ملامح ظاهرة المؤاخاة الأرث بالمؤاخاة جعل النبي (ﷺ) من المؤاخاة مسئولية حقيقية تشيع بين هؤلاء الإخوة حيث جعل حق الميراث منوطاً بهذا التآخي دون حقوق القرابة والرحم، فقد كان من حكمة التشريع أن تتجلى الأخوة الإسلامية حقيقة محسوسة في أذهان المسلمين والفترة الأولى من الهجرة، وضعت كلا من المهاجرين والأنصار أمام مسئولية خاصة من التعاون والتناصر والمؤانسة بسبب مفارقة المهاجرين لأهلهم وتركهم ديارهم وأموالهم في مكة ونزولهم ضيوفاً، على إخوانهم الأنصار في المدينة، فلما استقر أمر المهاجرين في المدينة وتمكن الإسلام فيها، غدت الروح الإسلامية هي وحدها العصب الطبيعي للمجتمع الجديد في المدينة، عاد التوارث إلى ذوى الأرحام والنسب^(١).

٣. بذل المهاجرين جهدهم في البحث عن مسالك الرزق في المدينة والبحث عن العمل، فلما ألف المهاجرين جو المدينة وعرفوا مسالك الرزق فيها، وأصابوا من غنائم بدر الكبرى بما كفاهم خففوا عن إخوانهم الأنصار المسئولية المعاشية^(٢).

٤. ومن ملامح ظاهرة الإخاء:

صور الحب في الله حينما أخى الرسول (ﷺ) بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم لك نصف مالي، وأنظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها قال عبد الرحمن بن عوف: لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة قال: سوق قينقاع فغدا إليه^(٣).

تلاحظ البذا والعطاء والنفس الكريمة لسعد بن معاذ ومقابلها العفة وعزة النفس لعبد الرحمن بن عوف.

(١) السيرة النبوية: الصلابي، ص ٣١٦.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) البداية والنهاية: أبي الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي، تحقيق جودة محمد جودة، الطبعة الأولى - دار ابن الهيثم / ص ١٦٢.

٥. لم يذكر المصادر أن البيوتات الحاضنة من الأنصار والمهاجرين رجالاً ونساءً أثناء إقامتهم في هذه البيوتات، ونعزو سبب عدم وجود هذه المشاكل أنهم أرفع وأسمى من الإنحدار إلى التقاهات الدنيوية لأن هدفهم وغايتهم هو نصرته الله ورسوله^(١).

المبحث الثالث: أسباب منعت الأمة من التكافل

قد نخر سوس الترف عدد من الدول الإسلامية فأورثها ذلاً وهواناً وضعفاً، فلم تعد تقوى على الوقوف في وجه أعاصير الأحداث التي اجتاحتها صنوف من الهوان وهان على الناس شأنها، والترف أسقط الخلافات الثلاثة الأموية والعباسية والأندلسية^(٢).

ونحن نعلم أن إرادة الله قد جعلت للحياة البشرية نواميس لا تتخلف، وسنناً لا تتبدل، وحين توجد الأسباب تعدد النتائج فتنفذ إرادة الله وتحقق كلمته قال تعالى: ((وَاتَّبِعِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ))^(٣).

وجود المترفين في ذاته دليل على أن الأمة قد تخلخل بناؤها، وسارت في طريق الإنحلال وأن قدر الله سيصيبها جزاء وفاقاً وهي التي تعرضت لسنة الله بسماعها للمترفين بالوجود والحياة^(٤).

من الأسباب التي منعت الأمة من التكافل ضعف الأمة، سقوط الخلافة العثمانية دفع الدول الكافرة لتتكالب على المسلمين تكالب الأكلة على قصعتها، فحاكت المخططات، والدسائس للقضاء على الوحدة الإسلامية ولعبت النصرانية واليهودية الدور الأساس في ذلك .

وما تقسيم الأمة الإسلامية إلى دويلات إلا نتاج خططهم، ودسائسهم، ولم تكتفي هذه الدول بالنقسيم بل دفعها حقدتها الأسود على الإسلام إلى تمزيق أوصال الأمة الإسلامية، بإثارة الفتن والنعرات الطائفية^(٥) والقومية، العصبية الجاهلية وجعلت المسلمين غرباء في أوطانهم، بل وغرباء في بلدانهم وأرضهم وبين أهلهم وإخوانهم المسلمين.

وما يؤكد هذه الحقيقة أنه في عام ١٩٨١ عقد مؤتمر سري، في مركز الأبحاث الإستراتيجية بولاية تكساس، وكان شعاره كيف تواجه المد الإسلامي، وتم تقسيم الدول الإسلامية إلى دول أكثر فاعلية وأكثر تطوراً، ودول أكثر حباً للإسلام، وأخضع كل دولة للدراسة على حده، وأجابت

(١) السيرة النبوية: الصلابي، ص ٣١٦.

(٢) الترف وأثره في الداءة والصالحين: محمد بن موسى الشريف، ط ٥، ٢٠١٢م، دار ابن حزم، ص ٢١٠-٢٤٤.

(٣) سورة هود: الآية ١١٦.

(٤) ظلال القرآن: سيد قطب، ج ٤، ص ٢٢١٧.

(٥) حروب الغرب المقدسة على الإسلام: الحسيني الحسيني المعدي، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، دار الكتاب

العربي، دمشق، ص ١٤٤.

الدراسة عن سؤال مهم هو كيف يمكن الدخول إلى شعوب هذه الدول، والعمل على تنصيرها، فإذا لم يتحقق هذا الهدف، تلجأ الكنيسة إلى خلق النزاعات الأهلية والفتن^(١) وقد نجحوا في تحقيق ذلك، في أفغانستان وسوريا والعراق وليبيا وغيرها، وقسموا البلاد إلى جماعات وأشعلوا الحرب وشردوا وهجروا المسلمين من أوطانهم.

من أسباب عدم التكافل والتراحم والتناصر عدم الصبر على الشدائد وضعف الإيمان لدى الأمة وعدم تقبل خشونة العيش فنجد الكثير من النازحين المسلمين بعد أن ضاقت الأرض بالكثير منهم وأوصدت الأبواب أمامهم من إخوانهم، لجأ الكثير منهم إلى اللجوء إلى الدول الكافرة، التي وجدوا فيها المعاملة الإنسانية والرحمة والإهتمام والعدالة الإجتماعية التي لطالما حلموا فيها يوماً، وهذه فتنة ما بعدها فتنة فليعلم الجميع أن المسلمين أفراداً وجماعات سيحاسبون أمام الله، على تقصيرهم في مساعدة المستضعفين من المسلمين وعدم مد يد العون إليهم وتركهم للدول الكافرة، لتستغل حاجتهم وكريبتهم وهذا ما تهدف إليه هذه الدول الكافرة التشكيك بوجود أمة مسلمة وبمبادئه.

وهنا يطرح سؤال لماذا دعا النبي (ﷺ) أصحابه في مكة، بعد أن تعرضوا للأذى للهجرة للحبشة رغم أنها دولة نصرانية.

الجواب: المسلمين الذين عاشوا فترة من الزمن في الحبشة كانت هجرتهم تحمل طابع الجو السياسي والجالية الأجنبية أكثر ما كانت تحمل طابع المجتمع الإسلامي الكامل، صحيح أن المسلمين ملكوا حرية^(٢) العبادة هناك، لكنهم كانوا معزولون عن المجتمع النصراني، ولم يستطيعوا أن يؤثروا فيه التأثير المنشود، ولعل الله أراد للهجرة للحبشة دراساً أن نعلم، أنه ما دامت السيادة لغير المسلمين، فلا يمكن أن يقوم مجتمع مسلم صحيح له كيانه وحرية، ولن تكون له كلمة في هذا العالم ما لم تتكاتف الأمة وتتوحد .

من أسباب عدم التكافل حب الدنيا الشديد والتقاتل على السلطة والجاه والمال، وهذا ما أعمى قلوب أصحاب هذه النزوات والشهوات الفاسدة من تجار الحروب والسلاح حتى أصبح الدين بالنسبة لهم أوراق ملونة يغلفون بها أطماعهم ومصالحهم، وهم ينفذون ما تطلبه منهم المنظمات الصهيونية اليهودية والنصرانية الكافرة، ولو على حساب دينهم وأوطانهم وأعراضهم والظلم محرم، لما فيه من تخريب العمران والنفس والنسل، فبولغ في ذمه وتكرير الوعيد فيه.

(١) المصدر السابق .

(٢) السيرة النبوية: الصلابي، ص ٣٩.

إن الله إذا أراد أن يذهب بالأمة ويأتي بأجلها، ونهايتها، تركها للراحة والدعة وإنغماسها بالنعيم، وخصب العيش، فاستكثرت من التأنق والتنعيم بالملذات، فتعصف البساطة والمروءة والعصبية^(١) فتجمع المال بكل طريقه ووسيلة كانت، وإن كانت على حساب المستضعفين والمنكوبين فكانت النهاية هذا بالنسبة للدول وكذلك الأفراد يسرى عليها ما يسرى على الدول، من ضاعت مرؤته وشهامته وبذله المال في سبيل إخوانه المسلمين وتفضيل الدنيا على الآخرة كانت نهايته الخسران والندم .

الخاتمة

إن التكافل من القيم الإسلامية العظيمة وتعتبر إحدى الأصول لتلاحم المجتمع الإسلامي. والقاعدة التي بنى عليها النبي (ﷺ) المجتمع الجديد في المدينة، وهي السد العالي الذي يحمي الأمة من الانهيار والتصدع، وللتكافل سبل ووسائل عديدة حث عليها الإسلام منها تكافل معاشي ويشمل طعام وملبس ومأوى، ومنها تكافل معنوي الكلمة الطيبة والحماية ورفع الظلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وتكافل مالي من زكوات وصدقات وأوقاف، وغيرها من وسائل التكافل التي لا يعرف الغرب منها إلا التكافل المادي التي تعطيها الدولة .

وتوصلت إلى نتائج في هذا البحث ومنها:-

١. أن معنى اللغوي للتكافل محدد، أما الاصطلاحي فيدخل ضمن معاني متعددة منها التعاون والتناصر .
٢. التهجير: وهو ترك الأوطان والديار وقد يكون لأسباب متعددة منها لطلب الرزق أو العلم أو فراراً بالدين والعقيدة أو فراراً من الظلم والحروب .
٣. وسائل الإسلام في التكافل متعددة منها الزكاة وهي واجبة على كل مسلم ذكر أو أنثى وعلى كل مال بلغ النصاب وحال عليه الحال. أما الصدقات فقد حث عليها الإسلام وفضلها كبير في إطفاء غضب الرب ومداواة المرضى والتوبة، أما الأوقاف فهي نظام انفرادي به الإسلام وله هيئات ووزارات في الدول الإسلامية دلالة على شخصيته المعنوية المستقلة ويمكن الاستفادة من الأوقاف في مواجهة التحديات التي تواجه الأمة فقد أثبتت فعاليتها طوال العقود الماضية، أما إطعام الطعام فهو من القربات التي حث عليها القرآن والسنة وجعلها سبب في دخول الجنة ومن منعها سبب في دخول النار .

(١) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، الطبعة الثانية، ٢٠١٠، دار الفجر، القاهرة، ص ١٨٤.

٤. المؤاخاة نموذج فريد في التاريخ البشري لتتلم البشرية معاني الإيثار والكرم والتضامن وقصص خيالية كما بدعى البعض.
٥. هناك أسباب منعت الأمة من التكافل والتضامن منها الترف وحب الدنيا والمصلحة وضعف العقيدة وانقسام الأمة .
- ونسأل الله في الختام العافية من البلاء والمحن وأن ينزل علينا السكينة والرحمة .